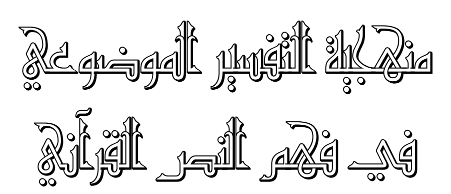


مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 9 (2010) : 269 - 288
http://elwahat.univ-ghardaia.dz



منهجية التفسير الموضوعي في فهم النص القرآني

عبد القادر سليماني
قسم علوم الحديث ومصطلحه جامعة وهران

مقدمة:

لا شك أن القرآن الكريم هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فيه الهدى والشفاء، والرحمة والبيان، والموعظة الحسنة والتبيان، أنزله الله تعالى على نبيّه الكريم صلى الله عليه وسلم، ليكون دستورا لأمته ورحمة للعالمين.

فهو أجلّ علم صرفت فيه الجهود والهمم، وذلك لمكانته العالية، باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامي، ولذلك اجتمع علماء الأمة سلفا وخلفا على العناية بالعلوم الخاصة به، كالجمع والترتيب، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه...، وذلك بهدف ضبط المنهج للوصول إلى استخراج ما فيه من الأحكام الشرعية المتعلّقة بحياة الإنسان في دنياه وآخرته، ومن ثم عكف أهل العلم على تفسيره.

ولاريب أن التفسير مرّ بأطوار عديدة حتى اتخذ هذه الصورة التي نجده عليها الآن، بأساليب ومناهج مختلفة، منها التفسير الموضوعي، وهو أسلوب يعتمد فيه على جمع الآيات المتفرّقة في القرآن الكريم التي تخصّ موضوعا معيّنا، فيقوم تفسيرها تفسيرا موضوعيا، بخلاف التفسير التحليلي، والتفسير الإجمالي، والتفسير المقارن، فلكل لون من هذه التفاسير منهجيته الخاصّة به.

فما هي حقيقة التفسير الموضوعي؟ وما هي منهجية البحث فيه؟ وما هي أهميته وآثاره في واقع الأمة ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها، ارتأيت أن أقسم هذه المقالة العلمية إلى خمسة مطالب، وخاتمة:

المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم:

1- المشهور بين علماء اللغة: أن لفظ القرآن مصدر مشتق من قرأ، يقال قرأ قراءة وقرآناً، ومنه قوله تعالى:﴿ إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾[1]، ثم نقل لفظ القرآن من المصدرية وجعل علماً.

وقال الشيخ الزرقاني: "أما لفظ القرآن فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من باب إطلاق المصدر على مفعوله، ذلك مما نختاره استناداً إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق وإليه ذهب اللحياني وجماعة ".[2]

2- واصطلاحاً: القرآن هو كلام الله المعجز، المنزّل على سيدنا النبي مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته ".[3]

فمن خلال هذا التعريف تظهر الصبغة الدينية للقرآن الكريم، وأي تعامل معه يجب أن يكون على هذا أساس أنه وحي من الله عز وجل، وأن الغاية من تفسيره وفهمه هي تحصيل الاعتقاد، الذي يتضمّن فهم مراد الله تعالى من خلاله، ومن ثمّ الاستجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وتعاليمها.

وهذا إنما يحصل بمناهج محددة معروفة، الغاية منها بالأساس هي استكشاف ما تدل عليه النصوص القرآنية من معان واستنباط الأحكام، وتبين حقيقة التعاليم الدينية التي جاء القرآن الكريم مبشرا بها وداعيا إليها، وفق ما تقتضيه قواعد اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أنواع النص القرآني:

لا شك أن مرادنا من إطلاق لفظ النص على القرآن الكريم، هو ما قصده علماء المسلمين من مفسرين وفقهاء لهذا المصطلح من مفهوم خاص، الذي يراد به كلام الله سبحانه وتعالى المتمثّل في السور والآيات القرآنية، ويختلف النص القرآني بحسب الوضع والأسلوب، فيكون قصصا، أو توجيها أو مثلا، أو خطابا عاما أوخاصا، وسأذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

1- القصص القرآني: وهو قصص الأمم السابقة مع أنبيائهم ورسلهم، وقصص

صبرهم ومعاناتهم مع المكذبين، وقصّة إبليس مع آدم عليه السلام، وأصحاب الكهف والرقيم، والآيات من هذا النوع أكثر من أن تضرب، ومقاصد هذا النوع هو لتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وتسليته، وكذلك موعظة واعتبار لكل مؤمن ومعتبر، لقوله تعالى: ﴿وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، هود –121، وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً﴾، طه–99، وقوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾، الأنعام–.57

2– الخبر القرآني: وهو ما أخبر به الله تعالى في كتابه عمّا سيكون من أمر علامات الساعة والقيامة والبعث والنشور والحساب والجنة والنار، وشأن الأبرار والفجار، وأهل الأعراف وغير ذلك؛ والآيات في ذلك كثيرة جداً، ومقاصد هذا النوع ترمي إلى توجيه عناية الناس واهتمامهم لحقيقة الوجود، وما سيكون من أمرهم بعد الموت، ليستعدّوا له أحسن الاستعداد.

ومثاله قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ* وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ* فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ* وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ* فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ* وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ* إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ* فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، الواقعة 88–.96

3– المثل القرآني: وهو ما ورد لغرض المقارنة والمماثلة وتقريب الصورة فضلاً عن الاعتبار[4]، وللمثل في الكلام مكانة هامة ووظيفة لا تنكر فائدتها، إذ له تأثير عجيب في الآذان، وتقرير غريب لمعانيها في الأذهان.[5]

ومثاله قوله تعالى ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، الحشر–21.

وقوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾، إبراهيم:24 .

وقوله تعالى:﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ

الدَّاخِلِينَ ﴾، التحريم:.10

4– التوجيه القرآني: وغرضه صرف النظر لأمور تراها العين أو تدركها الحواس لغرض معرفة آيات القدرة وعظمة الخالق جلا وعلا، أو لغرض الغور في تلك الأمور والبحث فيها للوصول لمصلحة معينة، وهذا الصنف هو أصل آيات القدرة والإعجاز العلمي في القرآن الكريم بكل أصنافه.

ومثاله قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾، الأعراف:185.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، البقرة:258.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْأِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾، يس:77.

5– الخطاب القرآني: وهو ما يتوجه به النص القرآني لمخاطبة كل أو جزء من الناس، والغرض من هذا النوع هو تبيين شرائع الدين للناس، وللمؤمنين خاصة، وإعلامهم الحلال والحرام، وقوانين وسنن الله تعالى في الحياة، والتعامل مع الغير، كالجار والأهل والنفس والمجتمع، وغير ذلك من أمور الحياة، وهي أصل آيات التشريع.

ومثاله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾، البقرة:21.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾، البقرة:168.

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾، البقرة:282.

وقوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾، النساء:59.

المطلب الثالث: تعريف التفسير وألوانه:

أولا: تعريفه:

أ– لغة: التفسير راجع إلى معنى الإظهار والكشف، وأصله في اللغة من التفسرة وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء، فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصصها ومعناها والسبب الذي أنزلت فيه؛ وقال آخرون: هو مقلوب من سفر ومعناه أيضا الكشف، يقال: سفرت المرأة سفورا، إذا ألقت خمارها عن وجهها، وهي سافرة، وأسفر الصبح أضاء، وقال ابن عباس في قوله تعالى:﴿ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ – الفرقان، 33– أي تفصيلا.

وقال الراغب:الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول[6]، وقال الزرقاني:" هو الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى في سورة الفرقان ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئنك بالحق وأحسن تفسيرا﴾ ".[7]

ب– اصطلاحا: هو علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه مُحَّد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ[8]، وعرّفه غيره بأنه:"علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية".[9]

ثانيا: ألوان التفسير.

لاشكّ أن التفسير يتنوّع باعتبار طرائق ومناهج المفسرين إلى أربعة أنواع، أجملها فيما يلي:

1– التفسير التحليلي: وهو الذي يتبع فيه المفسّر ترتيب المصحف، فيشرح جملة من الآيات أو سورة، أو القرآن الكريم كلّه على هذا النمط الموضعي، يتولى فيه المفسرون بيان ما تعلّق بكل آية من مناسبتها، وسبب نزولها، ومفرداتها، ويذكر حكمها وأحكامها، ونحو ذلك مما يتقرر به معناها.[10] وهذا اللون من التفسير هو أسبق أنواع التفسير وعليه تعتمد بقيتها، ويتفاوت فيه المفسرون إطناباً وإيجازاً، ويتباينون فيه من حيث المنهج ، فمنهم

من يهتم بالفقهيات، ومنهم من يهتم بالبلاغيات، ومنهم من يطنب في القصص وأخبار التاريخ، ومنهم من يستطرد في سرد أقوال السلف، ومنهم من يعتني بالآيات الكونية أو الصور الفنية أو المقاطع الوعظية أو بيان الأدلة العقدية، وبذلك يكون هذا اللون من التفسير هو الغالب على مصنّفات العلماء، وأكثر كتب التفسير على هذا النمط.

2- التفسير الإجمالي: وهو بيان الآيات القرآنية بالتعرض لمعانيها إجمالاً، مع بيان غريب الألفاظ، وإبراز مقاصدها، وسبب نزولها حتى يتقرر المعنى العام، من غير الدخول في التفاصيل، والمقصود من هذا اللون من التفسير، إعطاء فكرة إجمالية عن الآيات أو السورة المراد تفسيرها.[11]

3- التفسير المقارن: وهو بيان الآيات القرآنية، باستطلاع ما كتبه المفسرون، سلفا وخلفا، في الآية أو مجموعة الآيات المترابطة، والمقارنة بين أقوالهم، واستخلاص نتائج المقارنة من معاني الآيات الكريمة، أو من آراء المفسرين.[12]

4- التفسير الموضوعي: وهذا اللّون من التفسير، هو مجال موضوع هذه المقالة العلمية، وسأتحدّث فيما يلي عن تعريفه ونشأته ومنهجيته في فهم النص القرآني.

المطلب الرابع: مفهوم التفسير الموضوعي ونشأته:

أولاً: تعريفه:

يتألف مصطلح "التفسير الموضوعي" من جزئين ركبا تركيباً وصفياً، فنعرف الجزئين ابتداء، ثم نعرف المصطلح المركب منهما.

1- أما التفسير لغة، فقد تقدّم تعريفه، أنه من الفسر، وهو الإظهار والكشف، واصطلاحاً: هو الكشف عن معاني القرآن الكريم.[13]

2- وأما الموضوع لغةً: فهو مأخوذ من الوضع؛ وهو جعل الشيء في مكان ما، سواء أكان ذلك بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان[14]، واصطلاحا: هو القضية التي تعدّدت أساليبها وأماكنها في القرآن الكريم، ولها جهة واحدة تجمعها عن طريق المعنى الواحد أو الغاية الواحدة" .[15]

وجملة القول: فإن مصطلح " التفسير الموضوعي"، هو علم يبحث في قضايا القرآن

الكريم، المتحدة معنى أو غاية عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع.[16] وقد عُرِّف بتعريفات أخرى، منها " الاتجاه التوحيدي في التفسير"، و" التفسير التجميعي"، وكلّها مصطلحات تشير إلى طريقة واحدة في تفسير القرآن الكريم، تجعل"الوحدة الموضوعية" هي غايتها في التفسير والبيان، على أن مصطلح التفسير الموضوعي أكثر دقة ودلالة على المقصود، لذلك يكون أقرب إلى الاعتماد من غيره.[17]

ثانيا: لمحة موجزة عن نشأة التفسير الموضوعي وتطوّره:

لم يظهر هذا المصطلح عَلماً على علم معين إلا في القرن الرابع عشر الهجري، عندما قُرِّرت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر، إلا أن لبنات هذا اللون من التفسير كانت موجودة منذ عهد النبوة وما بعده، ويمكن إجمال مظاهر وجود هذا التفسير في الأمور التالية:

أ– تفسير القرآن بالقرآن: ولا شكّ أن هذا النوع من التفسير، هو الأساس الأول الذي بني عليه منهج التفسير الموضوعي، وخير شاهد على ذلك الإحالات القرآنية على آيات أخرى. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾، النحل–118، فهذه الآية تتضمّن إحالة إلى آية أخرى، تفسّر وتفصّل ما أجمل في هذه الآية، وهذا التفصيل نجده في سورة الأنعام في قوله تعالى:﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾، الأنعام–146

ومثاله أيضا ما رواه البخاري[18]، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسّر مفاتح الغيب في قوله تعالى:﴿وعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ﴾،الأنعام–59، فقال:"مفاتح الغيب خمسة: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ ومَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً ومَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، لقمان34.

وأدرك الصحابة رضي الله عنهم أن أول ما يرجع إليه في باب التفسير والبيان هو القرآن الكريم، فكانوا يجمعون الآيات المتشابهة، ويفسّرون بعضها ببعض، فإن أشكل عليهم رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وعلى هذا المنهج سار الصحابة رضي الله عنهم ومن

بعدهم، فقد وضعوا قاعدة في أصول التفسير تقتضي بأن أول ما يرجع إليه المفسِّر هو القرآن الكريم، وإن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر[19]، وهذا اللون من التفسير هو أعلى مراتب التفسير وأصدقها إذ لا أحد أعلم بكلام الله من الله عزّ وجلّ.

ب- تفسير آيات الأحكام: فقد اتجه المفسّرون القدامى إلى تتبع الآيات المتعلّقة بالأحكام الفقهية في القرآن الكريم، وجمعِها في باب من أبواب الفقه على حدة، وأخذوا في دراستها ومعرفة مفرداتها، وأسباب نزولها، واستنباط الأحكام منها، ولا شك أن هذا لون من ألوان التفسير الموضوعي[20]، ومن أشهر المؤلفات فيه: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (671هـ)، وأحكام القرآن للجصّاص (370هـ)، وأحكام القرآن لابن العربي (543هـ)، وغيرها.

ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾، البقرة-231.

فقد ذكر ابن العربي فيها ثلاث مَسَائِل:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: قوله تعالى: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾، والبُلوغ هاهنا حقيقة لا مجاز فيها؛ لأنّه لو كان معناه قاربن البلوغ كما في الآية قبلها لما خرجت بِه الزّوجَة عن حكم الزّوجِ فِي الرّجعة، فلمّا قال تعالى:﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ تبيّن أَنّ البلوغ قد وقع في انقضاء العدّة، وأَنّ الزّوج قد سقط حقّه من الرّجعة.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ العَضل يتصرّف على وجوه مرجعها إلى المنع، وهو المراد هاهنا؛ فنهى الله تعالى أَولياء المرأَة مِن منعها عن نكاح من ترضاه، وهذا دليل قاطع على أَنّ المرأَة لا حقّ لها في مباشرة النّكاح، وإنّما هو حقّ الوليّ، خلافا لأبي حنيفة، ولولا ذلك لما نهاه الله عن منعها. ...

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: قَوْله تَعَالَى: ﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يَعنِي إِذَا كَانَ لَهَا كفؤا، لِأَنّ الصّداق فِي الثَّيّب المالكة أمر نفسها لا حقّ للوليّ فيه، وَالآيَة نزلت فِي ثَيّب مالكة أمر نفسها، فدلّ على أَنّ المعروف المراد بالآية هو الكفاءة، وفيها حقّ عظيم للأولياء، لما في تركها مِن إدخال العار عليهم؛ وذلك إجماعٌ من الأمّة.[21]

ج–الأشباه والنظائر: وهو اتجاه نحاه بعض المفسرين في تتبع اللفظة القرآنية، وبيان معناها في كل موضع، ومن ثمّ معرفة استعمالات القرآن الكريم لها، ودلالتها المختلفة، ومن أشهر المؤلفات فيه: "الأشباه والنظائر في القرآن الكريم" لمقاتل بن سليمان؛ و"التصاريف" ليحيى بن سلام (200ه)؛ و"بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، لمجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي (817ه)؛ و"نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لأبي الفرج ابن الجوزي (597ه).

ومثال ذلك: لفظ " جند "، فقد وردت في القرآن الكريم على خمسة أوجه، كما بيّنه الدامغاني (478ه)[22]، بمعنى: الملائكة، الرسل والمؤمنون، ذرية إبليس، الجموع، الأنصار والنصراء.

– وجه منها:الجنود بمعنى الملائكة، قوله تعالى في سورة المدثر:﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، المدثر–31.

– الثاني: الجند الرسل والمؤمنون، قوله تعالى في سورة الصافات ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ، الصافات–173، يعني رسلنا، والمؤمنون هم الغالبون بالحجة .

– الثالث:الجنود الذرية، قوله تعالى في سورة الشعراء ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ الشعراء95، يعني ذرية إبليس وهم الشياطين .

–الرابع:الجنود الجموع، قوله تعالى في سورة النمل﴿ لَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾، النمل–37، يعني الجموع لا طاقة لهم بها، كقوله تعالى في سورة البروج ﴿هل أتاك حديث الجنود﴾، يعني الجموع، مثلها في سورة القصص ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾، القصص–8، أي جموعهما .

–الخامس:الجند الأنصار أو النصراء، قوله تعالى في سورة مريم ﴿سَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً ﴾، مريم–75.

والغالب على هذا اللون من التفسير الجانب اللغوي، إذ أنه يعتني بالكلمات التي يتحد لفظها ويختلف معناها حسب استعمالها، وهو أول وسيلة يلجأ إليها العلماء في البحث عن موضوعات القرآن، حيث يجمعون ألفاظ ذلك الموضوع من سور القرآن، ثم يتعرّفون على دلالة اللفظ في أماكن وروده.

ثم تطوّر هذا اللون من التفسير، فتتبع الباحثون الكلمة في القرآن الكريم، واجتهدوا في الربط بين دلالتها في مختلف المواضع، وأظهروا بهذه الطريقة معاني جديدة، وألوانا من الدقائق واللطائف العلمية، من البلاغة والإعجاز القرآني، ومن المؤلّفات في هذا الباب:

– "كلمة الحق في القرآن الكريم "، للشيخ مُحَّد بن عبد الرحمن الراوي .

– "المصطلحات الأربعة في القرآن: الإله، الربّ، العبادة، الدين"، لأبي الأعلى المودودي (1399هـ).

– "الأمة في دلالتها العربية والقرآنية"، للدكتور أحمد حسن فرحات، وغيرها .

ولا شك أن هذا العمل هو لون من ألوان التفسير الموضوعي.

د–الدراسات في علوم القرآن: اهتم العلماء بموضوعات علوم القرآن، ولم تقتصر جهودهم على الجوانب اللغوية لكلمات القرآن الكريم، بل جمعوا الآيات التي تشترك في موضوع واحد، أو قضية واحدة، كالنسخ، والقسَم، والمُشكِل، والجدل، والأمثال، وغير ذلك، فجمعوها، ثم تناولوها من الجانب المراد، والمؤلفات في هذا الباب كثيرة، من أشهرها:

الناسخ والمنسوخ، لأبي عبيدة القاسم بن سلام (224 هـ).

وتأويل مختلف القرآن، لابن قتيبة (276هـ).

والتبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (751هـ).

وفي غريب القرآن، نزهة القلوب في غريب القرآن لأبي بكر السجستاني(320هـ)، ومفردات القرآن، للراغب الأصفهاني (502هـ).

وألّ ّف في إعجاز القرآن، الباقلاني (403هـ)، والجرجاني (471هـ).

إلى غير ذلك من المؤلّفات الحديثة التي تتناول التفسير من زاوية الموضوع الواحد ذي الهدف الواحد؛ وهذه الدراسات تدلنا على أن التفسير الموضوعي ليس بدعاً من العلوم، وإنما هو من علوم السابقين وجهودهم، إلا أن هذه الكتب المذكورة هي من باب التفسير الموضوعي بمعناه العام، الذي يقوم على الرابطة البعيدة بين قضاياه المتعددة، كتفسير آيات الأحكام، فالرابطة بينها كون كل منها حكما شرعيا، وليس وحدة موضوعية في المعنى، لأن منها آيات

في الصلاة، وأخرى في الصيام، وأخرى في الزكاة، وهكذا، وحتى الآية يستخرج منه المفسِّر مجموعة من المسائل المختلفة، وهذا غير التفسير الموضوعي بمعناه الخاص الذي يراد منه جمع الآيات الكريمة ذات المعنى الواحد، ووضعها تحت عنوان واحد، والنظر فيها بما يؤلف منها موضوعا واحدا، مستخرجا من الآيات الكريمة على هيئة مخصوصة.[23]

المطلب الخامس: مسالك منهجية التفسير الموضوعي:

لا شك أن التفسير الموضوعي بمفهومه الخاص، ومنهجيته الدقيقة في فهم النص القرآني، يقوم على تحديد الموضوع بشكل دقيق، وتناوله من جانبه الخاص، وربط عناصره ومسائله برباطها الأقرب، بهدف التمايز بين الموضوعات القرآنية المختلفة، والوصول إلى كل منها من وجوه الإحكام والكمال، وذلك بجمع الآيات الكريمة ذات المعنى الواحد، ووضعها تحت عنوان واحد، والنظر فيها بما يؤلِّف منها موضوعا واحدا، مستخرجا من هذه الآيات على هيئة مخصوصة.

والمقصود بمنهجية التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، هو الطريقة العلمية التي ينبغي للمفسِّر أن ينتهجها في تعامله مع النصوص القرآنية، وضبط الخطوات المناسبة لكل مرحلة من مراحل هذا الفن الدقيق . وفي حقيقة الأمر أن البحث في التفسير الموضوعي، بمعناه الخاص، يمكن إرجاعه إلى مسلكين أساسيين:

– المسلك الأول: أن يجعل السورة القرآنية وحدة متكاملة، بتحديد هدفها الرئيسي، وإن تعددت موضوعاتها، وبيان غرضها سواء كان عاما أو خاصا.

– المسلك الثاني: أن تجمع الآيات القرآنية ذات الهدف المشترك، والموضوع الواحد، ومعرفة مكيّها ومدنيّها، والوقوف على أسباب نزولها، وتناولها بالدراسة الشاملة.

– وينبغي أن نشير إلى مسلك آخر في هذا الباب، ويتعلّق الأمر بتتبّع الباحث كلمة من كلمات القرآن الكريم، ويجمع الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة أو مشتقاتها من مادّتها اللغوية، ثم يقوم بتفسيرها واستنباط دلالاتها واستعمالات القرآن لها، ولا شككّ أن كثير من الكلمات القرآنية أصبح مصطلحات قرآنية، مثل " الأمة" ، و"الجهاد"، و"الخلافة"، وما شابه ذلك، وهذا النوع من التفسير قد اهتمّت به كتب " الأشباه والنظائر"، كما بيّنا ذلك آنفا.

1– أمّا عن المسلك الأول، فلا شك أن لكل سورة من سور القرآن الكريم خصائص وملامح خاصّة بها، وأن لها هدفا واضحا ترمي إلى بيانه وإظهاره، والمعلوم أن إدراك هدف السورة يكشف للباحث جزئيات لطيفة وصورا بليغة.

وطريقة البحث فيه:

– أن يحدد الباحث الهدف أو الأهداف الأساسية للسورة ثم يختاره أو يختار إحداها إن كانت ثمة أهداف متعددة .

– ثم يحاول إبراز عناصر بحث هذه السورة للموضوع وتقسيمها وتبويبها.

– ثم يدرس علاقة كل المقاطع بهذا الهدف بدءاً بمقدمة السورة، وانتهاءً بخاتمتها، مع التعرف على أسباب نزولها، ومكان نزولها، وترتيبها من بين سور القرآن، ويبين علاقة كل ذلك بهدف السورة وعنوان البحث.

– وليعلم أنه ينبغي عند البحث في هذا اللون ألا ينطلق الباحث في دراسة موضوع السورة من آيات لم ترد فيها، بل يكون منطلقه آيات ومباحث ومقاطع السورة ذاتها، وأما غيرها فتذكر استئناساً لا تأسيساً، وتوكيداً لا تأصيلاً، واستشهاداً لا استنادا.[24]

وممّن انتهج هذا السبيل في تفسيره، السيد قطب رحمه الله تعالى في كتابه "في ظلال القرآن" ، حيث اعتنى بشكل دقيق في بيان مقاصد السورة وتحديد أهدافها، وينطلق في باقي تفسير السورة من خلال هذا المحور الذي تتحدث السورة عنه، وإليك نموذجا عن هذا التفسير، من خلال " سورة النمل "، قال السيد قطب رحمه الله تعالى:

"وموضوع السورة الذي تعالجه، هو موضوع السور المكية على الإطلاق: العقيدة بموضوعاتها الرئيسية: الوحي، والوحدانية، والآخرة .

والسورة تتناول الموضوع من زاوية معينة، تتجه إلى بيان صدق الوحي بهذه العقيدة ووثاقته, ووهن عقيدة الشرك وتهافت أساسها الوهمي الموهون. والمقطع الأول في السورة: يستهدف بيان حقيقة الوحي وطبيعته, ويصف مشهدين من مشاهده, ويثبت صحته وواقعيته في ظل هذين المشهدين; ويؤكد تلقي الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام تلقي رؤية وتمكن ودقة, واطّلاعه على آيات ربه الكبرى.

ويتحدث المقطع الثاني: عن آلهتهم المدعاة: اللات والعزّى ومناة، وأوهامهم عن الملائكة، وأساطيرهم حول بنوتها لله، واعتمادهم في هذا كله على الظن الذي لا يغني من الحق شيئا، بينما الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى ما دعاهم إليه عن تثبت ورؤية ويقين.

والمقطع الثالث: يلقن الرسول صلى الله عليه وسلم الإعراض عمن يتولى عن ذكر الله ويشغل نفسه بالدنيا وحدها, ويقف عند هذا الحد لا يعلم وراءه شيئا، ويشير إلى الآخرة وما فيها من جزاء يقوم على عمل الخلق, وعلى علم الله بهم, منذ أنشأهم من الأرض, ومنذ كانوا أجنة في بطون أمهاتهم، فهو أعلم بهم من أنفسهم, وعلى أساس هذا العلم المستيقن – لا الظن والوهم – يكون حسابهم وجزاؤهم, ويصير أمرهم في نهاية المطاف.

والمقطع الرابع والأخير: يستعرض أصول العقيدة – كما هي منذ أقدم الرسالات – من فردية التبعة, ودقة الحساب, وعدالة الجزاء، ومن انتهاء الخلق إلى ربهم المتصرف في أمرهم كله تصرف المشيئة المطلقة ...وتختم بالإيقاع الأخير: ﴿ هذا نذير من النذر الأولى . أزفت الآزفة . ليس لها من دون الله كاشفة . أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون. ولا تبكون. وأنتم سامدون. فاسجدوا لله واعبدوا﴾..حيث يلتقي المطلع والختام في الإيحاء والصور والظلال والإيقاع العام". [25]

وممّا يعيننا على فهم هذا النوع من التفسير الموضوعي :

– كتاب"نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، لبرهان الدين أبي الحسن البقاعي (885هـ)، وهو كتاب جليل، وضع فيه مصنِّفه علما لم يسبقه إليه أحد، ذكر فيه مناسبات ترتيب السور والآيات، أطال فيه التدبر وأنعم فيه التفكر لآيات الكتاب، وهو يشمل على أحد جوانب الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، بين فيه الربط بين جميع أجزاء القرآن، ووجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة من القرآن الكريم .

– وكتاب "النبأ العظيم "، للدكتور مُحَّد عبد الله دراز، حيث تكلّم فيه عن سورة البقرة، ونظمها في عقد فريد، يظهر جمال النظم الإلهي، ذي الترتيب المحدد بمقدار معين.

2– وأمّا عن المسلك الثاني، فإنّه يتمثّل في تجميع الآيات القرآنية ذات الهدف المشترك، وتناولها بالشرح والبيان والتعليق والاستنباط، مع الإحاطة بكل جوانب الموضوع، كما ورد في القرآن الكريم، بقصد الوصول إلى الغاية المنشودة من وراء هذا البحث.

والحقيقة أن هذا النوع هو أشهر أنواع التفسير الموضوعي، بحيث إذا أطلق مصطلح " التفسير الموضوعي"، فلا يكاد ينصرف الذهن إلا إليه .

والمؤلّفات فيه كثيرة ومتنوّعة، ذكرنا بعضها عند المتقدّمين آنفا، وفي العصر الحديث برزت جهود معتبرة أضافت إلى هذه العلوم موضوعات اجتماعية واقتصادية وسياسية، وغير ذلك، أذكر على سبيل المثال:

-" آيات الجهاد في القرآن الكريم "، كامل سلامة الدقس .

-"دستور الأخلاق في القرآن"، د.مُحَّد عبد الله دراز.

-"التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن الكريم"، حنفي أحمد، وغيرها .

ويراعى في التعامل مع هذه الطريقة، جملة من الضوابط، أجملها فيما يلي:

– تحديد الموضوع القرآني المراد بحثه تحديدا دقيقا، من حيث وجوده في القرآن أولا، ثم من حيث المعنى والمقاصد.

– اختيار العنوان وضبطه: بحيث يكون لفظا قرآنيا صريحا أو مشتقا، بعيدا عن مواطن الاشتباه، فلا يعدل عن الألفاظ القرآنية إلى الألفاظ الحادثة، التي تعني معاني محددة ، قد تخالف القرآن في جملتها أو في تفاصيلها، فلا نعدل مثلا عن لفظ "الشورى في القرآن"، إلى لفظ "الديمقراطية في القرآن"، وغيرها، اختيار أجمع لفظ قرآني، وذلك عند تعدد الألفاظ، ليكون عنوانا للبحث، ومحورا أساسيا يدور عليه الموضوع .

– جمع الآيات القرآنية المتعلّقة بالموضوع بعناية تخدم الموضوع المختار .

– ترتيب هذه الآيات حسب النزول، فما نزل في مكّة أولا، ثم ما نزل في المدينة ثانيا.

– فهم الآيات القرآنية فهما دقيقا، بالرجوع إلى كتب التفسير التي تناسب الموضوع، والوقوف على أحوالها المتعدّدة من حيث الناسخ والمنسوخ، وبيان أسباب النزول، وتدرّج التشريع، والعموم والخصوص، وغير ذلك ممّا تقرّر في علوم اللغة وأصول الفقه.

ويلاحظ في هذه المرحلة توظيف التفسير التحليلي في خدمة التفسير الموضوعي، ولا ريب أن جميع مناهج التفسير، تتكامل وتتضافر في خدمة القرآن الكريم.

– الاجتهاد في تقسيم الموضوع إلى عناصر مترابطة، يربط بينها برباط علمي، يجعل من الموضوع وحدة واحدة، على نسق واحد، ومرتبة ترتيبا ينسجم مع السياق القرآني، ويقسّمها في النهاية إلى أبواب وفصول حسب حاجة الموضوع، ممّا يخدم البناء الكلّي للموضوع.

– تفسير الآيات أثناء عرضها تفسيرا يفهم منه الحكمة في إيراد الآيات، والمقصود من هذا التشريع، والغاية من وراء تنفيذ الأمر واجتناب النهي...

– عدم التعرض للأمور الجزئية في تفسير الآيات، فلا يذكر القراءات، ووجوه الإعراب ونحو ذلك إلا بمقدار ما يخدم الموضوع ويتصل به اتصالاً أساسياً مباشراً.

– والباحث في كل ذلك يهتم بأسلوب العرض، لتوضيح مرامي القرآن وأهدافه ومقاصده، ليتمكن القارئ من فهم الموضوع، وإدراك أسراره من خلال القرآن بجاذبية العرض الشائق ورصانة الأسلوب ودقة التعبيرات، وبيان الإشارات بأوضح العبارات.

فيتم بذلك إخراج الموضوع في صورة واضحة ومتكاملة، تامة البناء والإحكام، بهدف إبراز محاسن القرآن لخدمة الإسلام والمسلمين.[26]

المطلب السادس: أهمية التفسير الموضوعي، وآثاره في الأمّة الإسلامية:

لا شكّ أن للتفسير الموضوعي بمعناه الخاص، أهمية بالغة في هذا العصر، لما يحققه من فوائد تعود على الفرد والجماعة والأمة بحل المشكلات المستجدّة في المجالات الحيوية لحياة الإنسان، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية...، إذ لا يمكن تغطيتها وإيجاد الحلول الصحيحة لها إلا باللجوء إلى القرآن الكريم، باعتباره المصدر الأول للتشريع، قال الله تعالى:﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ الأنعام – 38.

والحاجة ماسّة إلى هذا اللون من التفسير، لما يحقّقه من فوائد كثيرة، يمكن تلخيصها في الأمور التالية:

الأول: إبراز مظاهر إعجاز القرآن الكريم:

لا شكّ أن القرآن الكريم معجز من كل الوجوه، معجز في أسلوبه الذي أثار دهشة العرب وذهولهم، وذلك بلفظه ونظمه وبلاغته، وهو معجز في مبادئه وتشريعه، ومعجز فيما جاء به من الحقائق العلمية، وفي عصرنا الحاضر، كلما جَدّت على الساحة أفكار جديدة، من مُعطيات التقدم الفكري والحضاري في جميع المجالات، إلا ووجدها المفسّر جلية في آيات الذكر الحكيم، لا لبس فيها ولا غموض، فيسجل عندها سبق القرآن إليها، ويدلل بذلك على كونه المعجزة الخالدة والمستمرّة، التي تقيم الحجة على البشرية قاطبة، إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، لقوله تعالى:﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، فصلت–42، وقوله عز وجلّ:﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾،النساء–82، وأنه لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائبه ودلائل إعجازه، لقوله تعالى:﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾، فصلت –53.

ولا يتيسّر للباحث الوصول إلى فهم وجوه الإعجاز العلمي، ومستجدّات ومتطلّبات العصر، إلا من خلال التفسير الموضوعي الذي يعتبر الأسلوب الأمثل في هذا الميدان.[27]

الثاني: إن مقاصد الشريعة الإسلامية، والمصلحة التي تحققها أحكامها، تقتضي التفاعل مع تجدد حاجات المجتمعات، ببروز أفكار جديدة في المجالات الحيوية، وانفتاح ميادين للنظريات

العلمية الحديثة، سواء اقتصاديا أو اجتماعيا، أو طبيا، أو ثقافيا، وما إلى ذلك.

ولا يمكن تأصيل هذه الحاجات، ولا تنظير رؤية الحلول لها إلا باللجوء إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. إذ عندما تستجدّ قضية أو علم مستحدث، فإننا لا نقدر على تحديد الموقف من هذا العلم وتلك القضية، وحلّ المشكلة القائمة، إلا عن طريق تتبع آيات القرآن الكريم، ومحاولة استنباط الأحكام المتعلّقة بكل جزئية من جزئيات ذلك الموضوع. إن جمع أطراف موضوع ما، من خلال نصوص القرآن والسنة، يمكِّن الباحث من القيام بدور اجتهادي للتوصل إلى تنظير أصول لهذا الموضوع، وعلى ضوء هدي القرآن ومقاصده نستطيع معالجة أي موضوع يَجدّ على الساحة، وهذا لا يتأتى إلا في إطار التفسير الموضوعي.[28]

الثالث: تصحيح الدراسات الإسلامية وترقيتها:

لا شك أن العلوم القرآنية قد نالت حظّا وافرا من جهود العلماء في مختلف التخصّصات، كالدراسات العقدية، والفقهية، واللغوية والبلاغية، وغيرها، كالإعجاز العلمي، الذي يعتبر من مستجدّات العصر لتقدّم التكنولوجيا والعلوم الدقيقة، فهو يحتاج إلى ضبطه بالقواعد العلمية المستمدة من هدي القرآن الكريم، لتجنّب الإفراط والتفريط، في إدخال الآيات القرآنية مجال البحث والتمحيص العلمي، وكذلك الأمر بالنسبة لأصول التربية القرآنية، وأصول علم الاقتصاد الإسلامي، وأصول علم الإعلام الإسلامي وغيرها، فكلّ هذه العلوم وغيرها، ينبغي الوقوف على أصولها في القرآن الكريم، وإظهار للناس كافة أن كتاب الله يمثّل الدين الصحيح لهم، الذي فيه نجاحهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، ولا يتأتى ذلك إلا بدراسة علمية جادة لموضوعات القرآن الكريم، بوضع أسس وضوابط لهذه الدراسات المختلفة، وإحكامها برباط وثيق بالآيات القرآنية، وفق منهج التفسير الموضوعي.[29]

وفي الختام: لا يسعني إلا أن أشيد بهذا اللون من ألوان التفسير القرآني، الذي شدّ اهتمام العلماء، من جميع الوجوه، ليأخذ مسارا جديدا، في مقاصده وأهدافه، وطريقة عرضه وبحثه، من خلال نوعية الموضوعات التي يثيرها ويستخرجها من القرآن الكريم، وفي الغاية التي يستهدفها، وفي النتائج التي يتوخّاها، ليصبح فنا من فنون التفسير القرآني، قائما بذاته، متميّز بمنهج، معلوم الحدود والضوابط، من مقاصده العليا تجلية مكانة القرآن الكريم وعظمته،

وقضاياه المختلفة، وحقائقه المترابطة، خاصّة في هذا العصر، المتميّز بالتحديات، والنظريات، وزخارف الحضارة المادية، التي أغرقت كثيرا من الناس في ﴿ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾.[30] و"التفسير الموضوعي"، هو بحق من أعظم ما تحتاجه المكتبة الإسلامية، وتتطلّبه الدعوة إلى الله عزّ وجلّ، من الناحيتين: العلمية والعملية.

فالناس يحتاجون إلى معرفة هدي القرآن الكريم، غاية الاحتياج، وإلى فهم ما تضمّنه من شمول موضوعي لكافة المجالات الحيوية لحياة الناس، وإلى إدراك ما يقدّمه لهم من أجوبة عن مشكلاتهم الاجتماعية، والاقتصادية، والأخلاقية، وغيرها، ولا يتحقق ذلك إلا بدراسات علمية جادّة لموضوعات القرآن الكريم، يكون آثارها ثمرة طيّبة في واقع الناس، بحيث يجدون الحلول المناسبة لتلك المشكلات؛ فيزداد المؤمن إيمانا إلى إيمانه، ويكون دعوة للأمم الحائرة على مفترق الطرق، ليرجعوا إلى ظلاله وسلامه وأمنه وإيمانه وعدله ورحمته ويسره وسماحته، وحتى يعلموا أن نهضة العلم جناية على الإنسانية جائحة، إن لم تسايرها نهضة روحية صالحة، توفّق بين مطالب الروح والجسد، وتؤاخي بين إنسان الشرق والغرب، وتستأصل النعرات الجنسية والطائفية، وتنظم من الكل جبهة متحدة على صراط الحق والخير، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله، وهل توجد هذه المزايا مجتمعة إلا في الإسلام، وهل يوجد الإسلام بغير القرآن، وهل يفهم القرآن إلا بعلوم القرآن، ولا شك أن علم التفسير عموما، و"التفسير الموضوعي" خصوصا، هو من أهم علومه، باعتباره السبيل والطريق لفهم كتاب الله عز وجل، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه .

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾، الإسراء–9.

الهوامش

[1]– القيامة، 17– 18.

[2]– مُحَمَّد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (11/1) ، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفطر، بيروت، ط1، 1996، وأنظر بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (277/2)، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة ، بيروت، ط2، دت.

[3]– الدكتور صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، (ص:21)، دار العلم للملايين، بيروت، ط14، 1982.

[4]–ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم (ص:17)، تحقيق سعيد مُحَمَّد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1983؛ والدكتور الشريف منصور بن عون العبدلي، الأمثال في القرآن الكريم (ص:13)، عالم المعرفة، جدّة، ط1، 1985.

[5]– ابن القيم الجوزية، المصدر نفسه (ص:22).

[6]– بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (146/2)، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط2، دت.

[7]– الزرقاني، المصدر السابق، (4/2).

[8]– الزركشي، المصدر نفسه، (13/1).

[9]– الزرقاني، المصدر السابق، (4/2).

[10]– الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي (ص:16)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بور سعيد، ط2، 1991.

[11]– الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، المصدر السابق ، (ص:17).

[12]– الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، المصدر السابق ، (ص:17).

[13]– (ص:7–8).

[14]– مُحَمَّد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، (ص: 593، مادة: و ض ع)، عني بترتيبه محمود خاطر، دار الفكر، بيروت، ط1، 2001.

[15]– الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، المصدر السابق، (ص:20).

[16]– الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، المصدر السابق، (ص:20).

[17]– الدكتور أحمد رحماني، التفسير الموضوعي، نظرية وتطبيقا، (ص:31)، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، ط1، 1996.

[18]– صحيح البخاري (كتاب: التفسير، سورة الأنعام، باب: باب وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ح:4351، 1693/4).

[19]– ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، مجموع الفتاوى، (363/13)، الرياض، 1372.

[20]– الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، بحوث في التفسير ومناهجه (ص:63)، مكتبة التوبة، الرياض.

[21] –مُحَمَّد بن عبد الله أبو بكر ابن العربي، أحكام القرآن، (201/1)، تحقيق علي مُحَمَّد البجاوي، دار الفكر، ط3.

[22]– الحسين بن مُحَّد الدامغاني، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر، (ص:110)، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، ط3، 1980م.

[23]– الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، المصدر السابق (ص:32–33).

[24]– أنظر مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، (ص:40)، دار القلم، دمشق، ط1، 1989، وأحمد السيد الكومي، وأحمد يوسف القاسم، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، (ص:22–24)، القاهرة، ط1، 1982.

[25]– سيّد قطب، في ظلال القرآن –سورة النجم– (3405/6)، دار الشروق، القاهرة، ط15، 1988.

[26]– أنظر عبد الستار فتح الله سعيد، المصدر السابق، (ص:56–64)، ومصطفى مسلم، المصدر السابق (ص: 37–39).

[27]– أنظر عبد الستار فتح الله سعيد، المصدر السابق، (ص:40)، ومصطفى مسلم، المصدر السابق (ص: 31).

[28]– أنظر أحمد السيد الكومي، وأحمد يوسف القاسم، المصدر السابق،(ص:17)، وعباس عوض الله عباس، محاضرات في التفسير الموضوعي، (ص:31)، دار الفكر. دمشق، ط1، 2007.

[29]– أنظر عبد الستار فتح الله سعيد، المصدر السابق، (ص:51)، ومصطفى مسلم، المصدر السابق (ص:32)؛ وعباس عوض الله عباس، محاضرات في التفسير الموضوعي، (ص:32)، دار الفكر. دمشق، ط1، 2007.

[30]– النور 40 .